محاضرات شهر أفريل

مقياس:المجتمع الجزائري وفعالياته

المستوى: أولى ماستر

الأستاذ: روابحي العياشي

سكان المدن (تابع)

3- طبقة الحضر

تتشكل طبقة الحضر (البلدية) من المجموعات السكانية القاطنة بالمدن والتي تعود أصولها إلى الفترة الإسلامية، وما انضم إليها من أندلسيين وأشراف، وقد تميز الحضر بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة وبوضعهم الاجتماعي المميز، مما جعلهم يؤلفون طبقة اجتماعية ميسورة ويشتغل أفرادها في المهن الصناعية (الأعمال التجارية) ويتولون وظائف السلك القضائي والتعليمي وقد ظهر في هذه الطبقة الصناع المهرة والتجار النشيطون، والبحارة المغامرين، والفقهاء والعلماء الافاضل.(مثل عائلة : ابن الفقون، و ابن عبد الجليل، وابن باديس بقسنطينة ...)

- اهتم أفراد هذه الطبقة بتنمية ثرواتهم واستغلال أملاكهم واستثمار مزارعم الواقعة بالقرب من المدن.

- شكلوا طبقة برجوازية في المدن الصغيرة التي عرفت بخضوعها للسلطة،وقلة اهتمامها بشؤون الحكم.

- سيطرت طبقة الحضر على الحياة الاقتصادية طيلة القرن السادس عشر والسابع عشر.

- **أهم العناصر التي كانت تتشكل منها طبقة الحضر**: الجالية الأندلسية ،وجماعة الأشراف.

أ-الجالية الأندلسية :

- كان للهجرة الأندلسية تأثير بالغ في تطور الجانب الاقتصادي والعمراني وكذا النمو البشري.

-أثرالعنصر الأندلسي بعمق في مجتمع مدينة الجزائر،وقد مس تأثيره مختلف الجوانب ،وذلك راجع للثقافة الواسعة والنشاط الذي امتاز به الأندلسيون على غرار الجماعات الأخرى، فقد طوروا المهن ساعدوا على شيوع اللغة العربية في بعض الجهات التي كانت تتكلم اللهجة المحلية كنواحي تنس، وشرشال ،ودلس وأرزيو وبجاية. كما كان لهم تأثربارز في الجانب العمراني، والثقافي والديني...

ب-جماعة الأشراف

كانت جماعة الأشراف قليلة العدد، وقد تميزت عن باقي الحضر بانتسابها إلى آل البيت حسب التقاليد المتعارف عليها، فقد اشتهر أغلب أفرادها بالورع والتقوى، وهذا ما أكسبهم احترما وتقدير لدى الحكام وباقي السكان، فخصهم بعض الدايات بالعطايا والمساعدات مثل الداي محمد بقطاش الذي أوقف لصالحهم بعض الأملاك، وساهم في انشاء زاويتهم عام 1121 هـ - 1709 م، هذا وقد اندمج أغلب أفراد هذه الجماعة في طبقة الحضر، فلم يعد ينتسب إلى الأشراف سوى بعض العائلات.

ومما يلاحظ أن طبقة الحضر بما فيها الأندلسيين والاشراف رغم كثرة عددها في أوائل العهد العثماني، وتمكنها من التحكم في الاقتصاد واكتساب الثروات إلا أنها لم تلعب الدور الاجتماعي الذي لعبته البرجوازية الصغيرة في المدن آنذاك، وذلك لتعرضها لعمليات المصادرة و التغريم والتضييق من قبل الحكام واتباع نظام الاحتكار الذي جمد طاقاتها، ولتخوف الأتراك والكراغلة منها ونفورها وترفعها عن الجماعات البرانية وهذا ما جعل هذه الطبقة تعيش في صراع مستمر وتنافس مكتوم فرضه الوضع الاجتماعي بالمدن.

4- مجموعات البرانية

تتألف من المجموعات السكانية التي هاجرت إلى المدن الكبرى كالجزائر وقسنطينة وتلمسان وغيرها للإقامة والعمل، وقد فرض عليها الوضع الاجتماعي ونوعية النشاط الاقتصادي في المدن أن تنتظم حسب أصولها الجهوية ومواطنها الأولى، فهناك البساكرة، والجيجليون،والأغواطيون والميزابيون والقبائل وغيرهم.

وقد اختصت كل مجموعة بمهام وأعمال تقوم بها تحت إشراف أمين منها يختاره البايلك ويوكل له حق مراقبة جماعته وتولي شؤونها فيما يتعلق بأمور الشرطة والقضايا العدلية ، ويساعده في ذلك أعوان وشواش وكتاب.

5- الجالية اليهودية

تشكل أهم العناصر البشرية بالمدن الكبرى والتي تعود في أصولها إلى اليهود المحليين الذين استقروا بالبلاد الجزائرية في الفترة السابقة للإسلام أو الذين اعتنقوا اليهودية من أهالي البلاد، بالإضافة إلى يهود الأندلس (السافرديم) الذين قدموا مع مسلمي الأندلس هروبا من اضطهاد النصارى منذ نهاية القرن الخامس عشر وحتى منتصف القرن السابع عشر، وما انضم إليهم فيما بعد من يهود ليفرون من الموانئ الايطالية الأخرى بعد منتصف القرن السابع عشر لممارسة التجارة وتصريف غنائم الجهاد البحري وعقد الصفقات بين الدول الأوروبية وحكومة البايلك.

- اكتسب يهود مدينة الجزائر وباقي المدن عادات وتقاليد الاهالي واتخذوا اللغة العربية كأداة تعبير في معاملاتهم اليومية وطقوسهم الدينية،واحتفلوا بانتصارات الجزائريين على الاسبان فاعتبروا انهزام شارلكان أمام الجزائر عام 1541 م ، واندحار جيوش شارل الثالث في هجومها على الجزائر سنة 1775 م عيدين خاصين بهما الاول عرف ببوريم 11 تمور، والثاني ببوريم 4 حزيرانن وظهر منهما رجال ثقافة وعلم ودين أمثال : إسحاق ابن شافات برقات، الذي أقام بمدينة ملياناة والجزائر، ويوسف بن مانير،وميمون بن سعدية النجار بقسنطينة وابن اليامين عمار ببجاية، ويوسف طوبية سرور بالجزائر، ...

- اندمج اليهود في الحياة العامة بالمدن الجزائرية بسهولة وذلك راجع لثقة الحكام الأتراك فيهم وتفضيل الأندلسيين التعامل معهم نظرا لكون أغلب اليهود ذوي أصول أندلسية، يتشابهون في طرق العيش وأسلوب الحياة والاشتغال في المهن اليدوية، وكذا لم يعد يميز أفراد الجالية اليهودية عن غيرهم من السكان سوى ملابسهم ذات اللون القاتم وامتناعهم عن ركوب الخيل وحمل السلاح والتزامهم بدفع ضريبة الرأس (الجزية) الذي يتولى مقدم اليهود في كل مدينة تقديمها نيابة عن باقي افراد جماعته إلى شيخ البلد أو الى الباي.

- أواخر العهد العثماني طرأ تحول عميق على الجالية اليهودية وذلك بعد دخول يهود ليفورن والموانيء الأوروبية الأخرى بالجزائر ،وبعد اتصال تجار اليهود بالبلاد الأوروبية أصبحوا يعيشون في عزلة عن السكان ويقتصرون في علاقاتهم معهم على ما تمليه مصالحهم الخاصة للحصول على الثروة والنفوذ ،و مرد هذا التحول ارتباط مصالحهم بالخارج وتفتحهم على الثقافات الغربية. وهذا ما دفع الأهالي إلى التشكيك في نشاطاتهم ،واتهامهم بالتآمر والتواطؤ مع الأعداء.

وقد قام الأهالي بعدة انتفاضات ضد اليهود وذلك للحد من تزايد نفوذهم وتضخم ثرواتهم، واحباط تواطؤ الحكام معهم.

6- الدخلاء

وهم العناصر الأجنبية عن المجتمع الجزائري مثل التجار الأجانب والقناصل الأوربيين ورجال البعثات الدينية والارساليات التبشيرية وجماعات الأسرى المسيحيين اللذين كانوا يؤلفون الأغلبية الساحقة من هذه العناصر الدخيلة.